المهــــــمّــــة

(بقعة صحـراوية خالية. تقوم فى وسطها هضـبة صخرية.
أمام الهضـبة يتمشى شـاب جيئة وذهابا وهو ينظر فى سـاعته من آن لآن. الوقت أصـيل. الشـاب أنـيق بدرجـة ملحـوظة.
والجو يوحى بأنه ينتظر موعدا غراميا.

يترامى من الخارج وقع أقدام ثقـيلة. الشاب يرهف السمع فى قلق، وباقتـراب الأقدام يتجهم وجهـه ويتوقف عن المشى فيلزم مكانه أمام الهضبة.

يدخل رجل فى الخـمـسين، مهـمل الهندام، ولكنه قـوى البنية يلقى على الشاب نظرة عابرة ثم يمضى إلى يسار الهضبة فيقف متطلعا إلى الخلاء.

الشاب ينظر صوب الرجل مقطبا ولكن الآخر يبدو وكأنه لا يشعر له بوجود. يقترب منه خطوة).

الـشـــــاب : (مخاطبا الرجل بصوت مرتفع لا يخلو من تحد وغضب)
: ماذا تريد؟
(يظل الرجل رانيا إلى الخلاء كأنما يسمع صوتا)
: (بصوت أشد ارتفاعا) إنى أسألك عما تريد .
(الرجل يبدو مستغرقا فى الأفق، ويترنم مغنيا)
والله زمان زمان والله . .

: (بحدة حانقة) لماذا تتبعنى؟

(الرجل يواصل ترنمه فى هيمان)

: إننى أخاطبك وأنت تعلم ذلك، لا أحد سوانا فى هذا الخلاء.

الرجل : (ملتفتا فى دهشة) حضرتك تخاطبنى؟

الشاب : دون سواك.

الرجل : معذرة، ماذا قلت؟

الشاب : إنى أسألك عما تريد منى.

الرجل : (متظاهرا بالدهشة) أنا؟!

الشاب : أنت، أنت دون سواك.

الرجل : عجيب سؤالك يا سيدى، أنا لا أريد منك أى شيء.

الشاب : لم إذن تتبعنى بإصرار؟

الرجل : أتبعك، إنى أراك لأول مرة فى حياتى!

الشاب : (بعناد) إنك تتبعنى منذ الصباح الباكر، ولم تكف عن تتبعى حتى هذه اللحظة من الأصيل

الرجل : أنت مخطئ فى ظنك فأنا لم أرك وبالتالى لم أتبعك.

الشاب : لم أذهب إلى مكان إلا رأيتك قادما فى أثرى.

الرجل : لا يحق لى أن أكذبك ولكنى لم أرك ولم أتبعك.

الشاب : (بنبرة لا تخلو من تهكم) أهى مجرد مصادفة؟

الرجل : سمها كيفما شئت.

(صمت. يعود الرجل إلى النظر صوب الأفق أما الشاب فلا يبرح مكانه ولا يكف عن النظر إليه).

الشاب : هل تتفضل بإخبارى عن الجهة التى تنوى الذهاب إليها بعد هذه الوقفة؟

الـــرجـــل : (ملتـفـتا نحـوه فى دهشـة) بأى حق تسألنى هذا السؤال الغريب؟!

الـشـــاب : معذرة، أود التخلص من فكرة اتباعك لى.

الـــرجـــل : أنا لا أعرفك، لم أتبعك، وفى هذا الكفاية.

الـشـــاب : ألم توجد فى ميدان القلعة صباحا؟

الـــرجـــل : بـلى.

الـشـــاب : ألم تتناول فطورك فى مطعم.. فلافل.. بشارع محمد على؟

الـــرجـــل : بـلى.

الـشـــاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى مقهى الشمس؟

الـــرجـــل : بـلى.

الـشـــاب : ألم تقم بزيارة قصيرة لدار الآثار؟

الـــرجـــل : بـلى.

الـشـــاب : ألم تشهد مزادا بصالة المعروضات بالدقى؟

الـــرجـــل : بـلى.

الـشـــاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى عيادة الدكتور عرنوسى طبيب الأسنان؟

الـــرجـــل : بـلى.

الـشـــاب : ألـم...

الـــرجـــل : (مقاطعا) أكنت تتبعنى يا سيدى؟

الـشـــاب : (ضاحكا ضحكة جافة) أنا؟!

الـــرجـــل : أليس من الغريب أن تعرف تحركاتى طيلة اليوم بهذه الدقة؟!

الـشـــاب : ولكنك كنت، لا مؤاخذة، كأنك كنت تتبعنى!

الــــرجــــل : لقد شغلت نفسك بى أكثر مما يتصور .
الـشـــــاب : فى كل مكان رأيتك قــادمــا فى أثرى ، حــتى فى هذه المنطقة النائية الخالية!
الــــرجــــل : عجيب أننى لم أرك ولا مرة واحدة .
الـشـــــاب : الحق أن عينينا التقتا أكثر من مرة .
الــــرجــــل : لا يرى الإنسان جميع ما تقع عليه عيناه من أشياء .
الـشـــــاب : إذن فأنت لا تتبعنى؟
الــــرجــــل : ولم أتبعك؟
الـشـــــاب : لعلك تعذرنى .
الــــرجــــل : لـك العــذر .
الـشـــــاب : مصادفة عجيبة .
الــــرجــــل : هى بالقياس إلى لا شىء .
(الشاب يضحك ضـحكة عصبية ثم يسـود الصمت. وعندما يهم الشاب بالابتعاد يتكلم الرجل)
: آسف جدا لأنى أزعجتك بغير قصد .
الـشـــــاب : أن تصدق أن شخصا ما يتبعك أمر مزعج حقا .
الــــرجــــل : ليس فى جميع الأحوال .
الـشـــــاب : أعنى إذا كنت تجهله وتجهل مقصده بالتالى .
الــــرجــــل : ولكنك شاب مهذب برىء الساحة .
الـشـــــاب : لا يكفى هــذا لإسـكات وسـاوسك مــا دمت تجـهله وتجهل مقصده .
الــــرجــــل : (باسـمـا) أيهـمـا أبعث على الخـوف . . المجـهـول أم المعروف؟
الـشـــــاب : الأمر يتوقف على السبب وعلاقته بنا .

الـــرجـــل : الحق أننا نخاف أكثر مما ينبغى .

(الشاب يصمت متجهما)

: أكـرر الأسـف .

الـشـــاب : (بعصبية) الحق أنك أفسدت علىَّ يومى كله .

الـــرجـــل : عجيب أن نرتكب جريمة ونحن لا ندرى .

الـشـــاب : وجـئت إلى هذه البـقـعـة الخـاليـة النائيـة لأكـتـشـفك وأحرجك!

الـــرجـــل : لعل مجيئى يقطع ببراءتى .

الـشـــاب : ترى ما الذى دعاك إلى المجىء إلى هنا؟

الـــرجـــل : إنها أحد الأماكن المختارة التى أشهد فيها الغروب .

الـشـــاب : أتحب الغروب؟

الـــرجـــل : إنه أحب ساعات اليوم إلى نفسى .

الـشـــاب : ألم يزعجك أن تجدنى هنا؟

الـــرجـــل : أنا أحب الناس .

الـشـــاب : (بعد تردد واضح) هلا أخبرتنى عن خطواتك التالية؟

الـــرجـــل : أما زلت على ريب منى؟

الـشـــاب : كلا ، ولكنى أود أن أمتحن دهاء المصادفة .

الـــرجـــل : الواقع أنى سـرت طيلة اليوم على غـير هـدى وبلا خطة موضوعة ، إنه يوم عطلتى .

الـشـــاب : لابد من فكرة تقودك فى يوم عطلتك .

الـــرجـــل : من طول خضوعى للتخطيط على مدى الأسبوع فإنى أتحرر يوم العطلة من أى قيد .

الـشـــاب : أمـا أنا فـسأبقى هنا بعض الوقت ثم أذهب إلى حـانة «الأحمر والأبيض» .

الــــرجــــل : (بحـمـاس مـفـاجئ) حـانة النبـيـذ الفـاخـر والسلطة الخضراء! . . ما أجملها!

الـشـــــاب : هل تقرر الذهاب إليها؟

الــــرجــــل : أعترف بأنك ذكرتنى بمكان أحب الجلوس فيه!

الـشـــــاب : وبعد ذلك سأمضى إلى بيتى!

الــــرجــــل : من يدرى، ربما توثقت العــلاقــة بيننا فى «الأحــمــر والأبيض» فنمضى إلى البيت معا.

(يضحكان معا، ثم يسود الصـمت. يلتفت الشاب إلى الناحية الأخـرى فـيـعود الـرجل إلى التطلع صـوب الأفق. الشـاب يتـمـشى غـيـر خـال من القلق. يختـلس إلـى ظهـر الرجل النظرات، ينظر فى ساعته، يتضـاعف قلقه. تدخل فتاة جميلة متأنقة. ما إن ترى الشاب حتى تهرع نحوه متهللة ولكنها تنتبه إلى وجود رجل غريب فتتمالك مـشاعرها وتلوح فى وجهها خيبة. الشاب يمضى بها إلى يمين الهضبة. يتبادلان قبلة)

الـشـــــاب : لسـنا وحـدنا.

الفـــتـــاة : مـاذا يفعـل؟

الـشـــــاب : ينتظر الغروب!

الفـــتـــاة : الغـــروب؟!

الـشـــــاب : (متهكما) أحب ساعات اليوم إليه.

الفـــتـــاة : هل تعرفه؟

الـشـــــاب : كـــلا.

الفـــتـــاة : هل حادثته؟

الـشـــــاب : نعـــم.

الفـــتـــاة : لِـمَ؟

الشـــــاب : الواقع أنه لم يفارقنى منذ الصباح الباكر .
الفـــتـــاة : (بدهشة) كيف؟
الشـــــاب : ظننته يتبعنى .
الفـــتـــاة : ما دام لم يفارقك طوال اليوم .
الشـــــاب : ولكنه أكد لى أنه لم يرنى .
الفـــتـــاة : وهل صدقته؟
الشـــــاب : لـم أكــذبه .
الفـــتـــاة : ألا ترى أنه يحسن بنا أن نذهب؟
الشـــــاب : إنى ضنين باللقاء .
الفـــتـــاة : ولكن قلبى غير مطمئن .
الشـــــاب : لعله ينتظر صديقة .
الفـــتـــاة : ليتها تجىء لتحل المشكلة من أساسها .
(يتبادلان قبلة طويلة)
: (مشيرة إلى الناحيـة الأخرى من الهضبة) لم يفارقك طوال اليوم؟
الشـــــاب : بـــلى .
الفـــتـــاة : لنـذهب .
الشـــــاب : لماذا يتبعنى؟
الفـــتـــاة : (بقلق واضح) ترى هل يتعلق الأمر بى؟
الشـــــاب : هل سبق لك أن رأيته .
الفـــتـــاة : لا لم ألمح إلا ظهـره، وبسرعة عابرة، لم يذكرنى بأحد أعرفه .
الشـــــاب : لا داعى لكثرة الظنون .
الفـــتـــاة : أرى أنه يحسن بنا أن نذهب .

الشـــــاب : لننتظر فإنى ضنين باللقاء .
الفـــتـــاة : أعترف بأننى بت أكرهه بقدر ما أخافه .
الشـــــاب : كيف تخافينه وأنت لم ترى إلا ظهره!
الفـــتـــاة : إنه ذو قصة مريبة تدعو للانزعاج .
الشـــــاب : بوسعنا أن ننساه تماما ونعبث بنواياه .
الفـــتـــاة : نوايـــاه؟!
الشـــــاب : أعنى إن كان ثمة نوايا يضمرها حقا .
الفـــتـــاة : ولكن كيف؟
الشـــــاب : (وهو يجذبها نحو صدره) هكذا .

(يتعـانقان وهمـا يتبادلان قـبلة طويلة. يواصلان العـناق والقبل كـأنما قد نسـيـا الآخر تمامـا. فى أثناء ذلك يجلس الآخـر على الأرض كأنما أتعـبته الوقـفة، يمد ساقـيه ويسند رأسه إلى حـافة الهضـبة. صوت غراب ينعق. الشـاب والفتاة يفيـقان من سكرة الحب. يتبادلان النظر فى دهشة)

الفـــتـــاة : كم مضى من الوقت؟
الشـــــاب : لا أدرى، ولن أنظر فى الساعة فما أحب أن أكدر صفونا بالزمن .
الفـــتـــاة : (مشيرة إلى الناحية الأخرى) ترى هل ذهب؟
الشـــــاب : سيان عندى أن يذهب أو أن يبقى .
: لا يند عنه صوت .
: لعله مات .

(صمت يتخلله تبادل قبل)

: من الحماقة أن أخافه .
الفـــتـــاة : ولكنك تجهله .

الشـــاب : هو على أى حال كهل وبوسعى أن أصرعه بلكمة واحدة .

الفـــتـــاة : ولكنى وجدتك قلقا لدى حضورى .

الشـــاب : لم أكن أفقت من فكرة مطاردته لى .

الفـــتـــاة : لعـــله . .

(وقبل أن تتم كلامها يتـرامى إليهما شـخير منتظم من ناحـية الرجل. يتبادلان نظرة ذاهلة)

: نـــام؟

الشـــاب : لعله شخير رجل آخر .

(الشـاب يمضى فى حذر شـديد نحـو الرجل. تتـبعـه الفتـاة. يلقيان عليه نظرة داهشة. الرجل يسـتيقظ لدى وقوع نظرتهما عليه كأنما رمى بطوبة. ينـهض بسرعة ويحدق فيهـما بانزعاج وتحد معا)

الـــرجـــل : **(متجهما)** من أنتما؟ . . ماذا تبغيان؟

الشـــاب : لا مؤاخذة لم نقصد إزعاجك .

الـــرجـــل : **(مستعيدا تذكره وهدوءه)** آه . . أنت . .

(صمت وارتباك والرجل يردد بصره بينهما)

: **(باسما)** وقعت أحداث جديدة فى أثناء غفوتى!

الشـــاب : أى أحـــداث؟

الـــرجـــل : **(ناظرا إلى الفتاة)** كنت وحدك فيما أذكر!

الشـــاب : ثم لحقت بى خطيبتى!

الـــرجـــل : **(مبديا دهشة سمجة)** خطيبتك!

الشـــاب : **(بحدة)** نعم خطيبتى!

الـــرجـــل : **(بقـحة)** وكيف تجىء بخطيبتك إلى هذه البقـعة النائية المهجورة؟

الشـــاب : (غاضبا) بأى حق تحاسبنى على ما أفعل؟
الـــرجـــل : (متراجعا) معذرة. لم أسترد تفكيرى السليم بعد. . (يهمّ الفتى والفتاة بالذهاب ولكن الرجل يسارع باعتراض سبيلهما)
الـــرجـــل : متى نذهب إلى حانة «الأحمر والأبيض»؟
الشـــاب : نذهب؟
الـــرجـــل : ألم نتفق على ذلك؟
الشـــاب : كلا . . قلت لك إنى ذاهب لا إننا ذاهبان، وقد عدلت عن قرارى.
الـــرجـــل : يا للخسارة!
الشـــاب : اذهب أنت إذا شئت . . .
الـــرجـــل : لعلك ضحكت عليّ حين كنت تنتظر خطيبتك؟
الشـــاب : لا داعى للأخذ والرد.
الـــرجـــل : إذن فلم تقصد هذا المكان لتحرجنى كما قلت؟
الشـــاب : لننه حديثا لا جدوى منه.
الـــرجـــل : ولكننا وصلنا فى الحديث إلى حافة الصداقة.
الشـــاب : لندع ذلك إلى فرصة أخرى.
الـــرجـــل : (راجعا إلى مكانه الأول) أتمنى لكما وقتا طيبا.
(الرجل يعود إلى موقفه الأول ليرنو من جديد إلى الأفق. يعود الشاب بالفتاة إلى موقفهما إلى يمين الهضبة).
الشـــاب : ها قد عدنا إلى الجنة.
الفـــتـــاة : ليتنا لم نغادرها.
الشـــاب : لعنة الله على الفضول.
الفـــتـــاة : دعنى أذهب . .

(يضمها إلى صدره ويقبلها فتستسلم دون استجابة)

الشــــاب : ابتســمى .

الفـــتـــاة : يا له من رجل كريه!

الشــــاب : لنلق به فى النسيان .

(يتعانقان حتى يغيبا عن الوجود. فى أثناء ذلك يتسلل الرجل من موقفه حتى يقف قبالتهما ويبدو سعيدا بمشاهدتهما. ينتبهان إليه. ينفصلان فى ارتباك وانزعاج. الشاب يرميه بنظرة غاضبة)

الـــرجـــل : ما أجمل هذا!

الشــــاب : وقاحـــة .

الـــرجـــل : استمرا فى لعبكما الظريف .

الشــــاب : (محتدا) ماذا جاء بك؟

الـــرجـــل : بالله لا تغضب .

الشــــاب : وقـــح .

الـــرجـــل : إنك لا تقدر وقع كلمة قاسية على رجل يحب الناس .

الشــــاب : ماذا جاء بك؟

الـــرجـــل : أحب أن أرى الأشياء الظريفة .

الشــــاب : احذر أن تدفع ثمن قحتك .

الـــرجـــل : لقد تسللتما لتلقيا علىّ نظرة وأنا نائم وها أنا أرد التحية .

الفـــتـــاة : (وهى تهم بالذهاب فيمسك الشاب بها) إنى ذاهبة .

الـــرجـــل : (للفتاة) لا تذهبى ، لم أقصد إزعاجك .

الشــــاب : هذا سلوك غير لائق .

الـــرجـــل : بل هو طبيعى وجميل .

الشـــــاب : اذهـــب .
الـــرجـــل : ألا ترى أنى أعرض مودتى بغير حساب؟
الشـــــاب : اذهب وإلا . .
الـــرجـــل : يجدر بك ألا تهددنى .
الشـــــاب : سأفعل أكثر من التهديد .
الـــرجـــل : كلا ، لا تدفعنا إلى عواقب غير محمودة .
الشـــــاب : لـــك .
الـــرجـــل : ولك أيضـــا .
الشـــــاب : لا تحملنى على تأديبك وأنت فى سن أب .
الـــرجـــل : لا تغتر بفوارق السن .
الفـــتـــاة : دعنى أذهـــب .
الـــرجـــل : (للفتاة) محال أن تكدرى صفوك بسببى .
الفـــتـــاة : إذن فابتعد عنا .
الـــرجـــل : إنها فرصة نادرة لمشاهدة الحب .
الشـــــاب : أأنت مجنون؟
الـــرجـــل : أنا رجل يحب مـشاهدة الطرائف ، جرب ذلك بنفسك إذا شئت .
الشـــــاب : ماذا تعنى؟
الـــرجـــل : (حانيا رأسه بأدب) دعنى أحل محلك وتفضل بمشاهدتنا أنت لتحكم بنفسك .

(الفتاة تلطمه. الرجل يتلقى اللطمة باسما)

(صمت)

الفـــتـــاة : (هامسة للشاب) دعنى أذهب .
الشـــــاب : (بعناد وكبرياء) كلا .

الفـــتـــاة : بل يجب أن أذهب في الحال .

الشـــاب : (بإصرار) لن تذهبي .

(الرجل يبتعد خطوات، يتحسس خده مكان اللطمة وهو ما يزال يبتسم)

الـــرجـــل : (مخاطبا الخلاء) بنوايا طيبة أسير، ولكني أتلقى اللطمات، وكلمات أقسى من اللطمات، لماذا؟ لماذا يصر الناس على الوهم والحماقة؟ لم لا يقفون على أرض الواقع؟ كيف لا يفرقون بين العدو والصديق؟

الفـــتـــاة : (للشاب) لا تكن عنيدا .

الشـــاب : لـن تذهـبي .

الفـــتـــاة : لا فـائدة .

الشـــاب : ولكنك لن تذهبي .

الـــرجـــل : (مستمرا في مخاطبة الخلاء) المتعلم والأمي في الجهالة سواء، لمَ يسيئون الظن بي؟ ماذا عليهم لو استمروا في لهوهم أمام وجودي البريء؟ أحب مشاهدة الأفراح، ولا عدو لي إلا الحماقة والأنانية .

الفـــتـــاة : (للشاب) إنه مجنون .

الشـــاب : ليكـن .

الفـــتـــاة : إني خائفة .

الشـــاب : لست عاجزا عن حمايتك .

الـــرجـــل : (مخاطبا الخلاء أيضا) يخلقون المتاعب من لا شيء ثم يلقون بها في وجهي، أهيم على وجهي باحثا عن أشياء ثمينة فلا ألقى إلا الصد، الخلاء يشهد بأنني ذو شأن ولكن اللعنة على الحماقة .

الفـــتـــاة : إنه مجنون، لن أبقى دقيقة أخرى.

(الفتاة تمضى نحو الخارج. الشاب يلحق بها فيمسك بيدها)

: لابـد من ذهـابى.

الـشـــاب : ولكـــن...

الفـــتـــاة : لا تُكرهنى على البقاء.

الـشـــاب : إذن فلأوصلك.

الفـــتـــاة : (مانعة إياه بيدها) ابق هنا حتى لا يتبعنا.

(يتـصافـحان. تغـادر المكان. الشاب يـتبـعهـا بعينيـه. الرجل يقترب منه ولكنه يتجاهله)

الـــرجـــل : أقدم لك اعتذارى بقلب ملؤه الأسف.

(الشاب يصر على تجاهله)

: أى نحس يفسد علىّ مطالبى البريئة؟!

(الشاب يتمشى والرجل يتبعه كظله)

: أكرر الأسف من كل قلبى.

الـشـــاب : (متوقفا عن المشى فى مواجهته) ألا تخجل من نفسك؟

الـــرجـــل : انظر إلى جزاء من يسعى إلى حب الناس!

الـشـــاب : أتســخر منى؟

الـــرجـــل : صدقنى فيما أقول، بيد أنى رجل سيئ الحظ.

الـشـــاب : لقد ضيعت علىّ ثمرة يومى المرهق الطويل بلا حياء.

الـــرجـــل : أنـــا؟

الـشـــاب : دون غيرك.

الـــرجـــل : كلمـا سـعيت إلى إنسـان بقلب مـفـتـوح رُمـيت بـهـذه التهمـة.

الـشـــاب : يخيل إلىّ أنك ذو تاريخ قديم فى النحس.

الـــرجـــل : لا ذنب لى على الإطلاق .

(الشاب يغادره إلى يسار الهضبة فيتبعه على الأثر)

: أود أن تؤمن ببراءتى .

الـشـــاب : أمن الضرورى أن تلاحقنى لتحدثنى عن نحسك؟

الـــرجـــل : فرصة طيبة للحديث والتعارف .

(الشاب يقطب ثم يسود صمت)

: افتح لى صدرك .

الـشـــاب : أكنت تتبعنى منذ الصباح كما ظننت؟

الـــرجـــل : (باسما) بصراحة نعم .

الـشـــاب : إذن كذبت علىّ؟

الـــرجـــل : بسبب نحسى المزمن أصبح الكذب وسيلتى المفضلة للدفاع عن النفس .

الـشـــاب : أكنت تعرفنى؟

الـــرجـــل : كـــلا .

الـشـــاب : لم تبعتنى؟

الـــرجـــل : إنى أهيم على وجهى من مطلع الصبح فأتبع أول من يصادفنى .

الـشـــاب : أيـا كـان؟

الـــرجـــل : أيـا كـان .

الـشـــاب : كـل يـوم؟

الـــرجـــل : كـل يـوم .

الـشـــاب : أليس لك عمل فى الحياة؟

الـــرجـــل : ليس لى عمل .

الـشـــاب : ثـرىّ؟

الـــــرجـــــل : موفور الإيراد .
الـشـــــــاب : ما قصدك من مطاردتى؟
الـــــرجـــــل : أتصيد لحظة للتعارف .
الـشـــــــاب : أليس لك أصدقاء؟

(صمت)

الـــــرجـــــل : وآمل من وراء التعارف أن أحطم أسطورة النحس!
الـشـــــــاب : (ضاحكا ضحكة مكفهرة) الآن وقفت على سر الحظ العاثر الذى لازمنى طيلة يومى .
الـــــرجـــــل : لا تكن كالآخرين .
الـشـــــــاب : فى ميدان القلعة زلّت قدمى فوقعت على ركبتى .
الـــــرجـــــل : (باسما) كنت تنظر إلى امرأة فى نافذة!
الـشـــــــاب : وفى المطعم شرقت حتى قذفت بما فى معدتى .
الـــــرجـــــل : كنت تأكل بسرعة كأنك فى سباق!
الـشـــــــاب : وفى مقهى الشمس خسرت نقودى .
الـــــرجـــــل : كنت تبلف باستمرار حتى كشف ورقك .
الـشـــــــاب : وفى دار الآثار وقعت على ركبتى المصابة للمرة الثانية .
الـــــرجـــــل : كنت شارد اللب وتحادث نفسك .
الـشـــــــاب : وأخيرا أفسدت علىّ أجمل ثمرة فى يومى .
الـــــرجـــــل : ألم توقظنى من النوم بنفسك؟

(الشاب يعاود ضحكته المكفهرة ثم يسود الصمت)

الـشـــــــاب : أليس لك أصدقاء؟
الـــــرجـــــل : (متنهدا) كـــلا .
الـشـــــــاب : ألست رب أسرة؟
الـــــرجـــــل : جربت حظى مرات ولكنى لم أوفق!

الشــــــاب : (يضحك رغما عنه) لا مؤاخذة .

الـــرجـــــل : العفـــو .

الشــــــاب : أظن آن لى أن أذهب

الـــرجـــــل : (يتوسل) كــلا .

الشــــــاب : ليس ثمة ما يدعونى إلى البقاء .

الـــرجـــــل : فلنشهد الغروب معا .

الشــــــاب : لا أحب الغروب .

الـــرجـــــل : ثم نذهب إلى حانة «الأحمر والأبيض» .

الشــــــاب : لن أذهــب .

الـــرجـــــل : إذا كنت مفلسا فلا يهمك .

الشــــــاب : لن أذهــــب .

الـــرجـــــل : تكره مرافقتى؟

الشــــــاب : نعـــم .

الـــرجـــــل : لا تجعل للخرافة سيطرة عليك .

الشــــــاب : (محتدا) إنك وراء ما فقدت من صحة ومال وحب!

الـــرجـــــل : أقلع عن الخرافات .

الشــــــاب : أقلع أنت عن نحسك .

الـــرجـــــل : أتوسل إليك أن تبقى ولو حتى ساعة الغروب فحسب .

الشــــــاب : وداعـــا .

(الشاب يمضى صوب الخارج بعزم وصـرامة. الآخر ينظر إليه بأسف. عند منتصف المسافة يتوقف الشاب فجأة ويعلو صوته بالتـأوه ثم ينحنى قـابضا بيـديه على ركـبتـه. الرجل يلحق به متسائلا)

الـــرجـــــل : مـــالك؟

الشــــاب : ركــبتى!

الـــرجـــل : مد ساقك، دلكها.

الشــــاب : نار.. نار موقدة..

(يثب راجعا على قدمه الأخرى حتى يجلس فى أسفل الهضبة. يمد ساقه السليمة ويثنى الأخرى ثم يتأوه من الأعماق)

الـــرجـــل : ماذا حدث؟.. كنت فى غاية الصحة.

الشــــاب : الحق أنها لم تعد إلى حالتها الطبيعية أبدا...

الـــرجـــل : لكنك لم تشكُ طيلة الوقت.

الشــــاب : كان يعاودنى ألم خفيف فظننته عابراً.

الـــرجـــل : حالة طارئة لا تلبث أن تزول.

الشــــاب : لعــل وعسى.

الـــرجـــل : من المفيد أن تدلكها.

الشــــاب : لا أستطيع لمسها.

الـــرجـــل : حال بسيطة فيما أعتقد.

الشــــاب : **(متأوها)** قلبى يحدثنى بأن الأمر أخطر مما تتصور.

الـــرجـــل : لا تعتمد كثيرا على حديث قلبك.

الشــــاب : صدقنى فإن الحال خطيرة حقا.

الـــرجـــل : أرجو أن تكون واهما...

الشــــاب : أريد إسعافا عاجلا...

الـــرجـــل : سأذهب لاستدعاء الإسعاف.

الشــــاب : وتعود بسرعة من فضلك!

الـــرجـــل : لا أظن فإن أقرب تليفون يقع على مسيرة غير قصيرة.

الشــــاب : **(بقلق)** لا تتركنى وحدى طويلا.

الــــرجـــــل : مــاذا تخـــاف؟
الـشـــــــاب : المساء قريب، وهذه بقعة غير مأمونة لإنسان عاجز.
الــــرجـــــل : ومـا الحـــل؟
الـشـــــــاب : هل يمكن أن أسير معتمدا عليك؟
الــــرجـــــل : سأضطر إلى حملك وهو ما أعجز عنه، جرب أن تسير على مهل.
الـشـــــــاب : الحال أخطر مما تتصور.
الــــرجـــــل : لابد من حل وبخاصة أننى لن أبقى بعد الغروب!
الـشـــــــاب : ولكنك لن تتركنى وحدى!
الــــرجـــــل : أخشى أن أضطر إلى ذلك إذا لم تسعفنى بحل.

(صمت وتأوه)

الـشـــــــاب : ولكنك لن تفعل ذلك.
الــــرجـــــل : لا يمكن أن أبقى هنا إلى مـا شـاء الله ولكنى سـأتلفن للإسعاف فى طريق العودة.

(الشاب يرمقه بنظرة صامتة متألمة)

: سـأفعل من أجـلك ما لا تنتظره من رجـل لا تعرفه ولا يعرفك.
الـشـــــــاب : (بحياء) حدثتنى عن رغبتك فى الصداقة وأمامك فرصة لربطنا برباط المودة إلى الأبد.
الــــرجـــــل : (بشىء من الجفاء) ولكنك رفضت يدى!
الـشـــــــاب : اغفر لى غضبى الأحمق!
الــــرجـــــل : الحق أنك كرهتنى طوال الوقت.
الـشـــــــاب : الإنسان عـدو مـا يجـهله ولكنى سـأعـرفك من خـلال سلوكك النبيل.

الــــرجـــــل : (بنبـرة لم يعـد بها أثر من الـرقة القـديمة) لا أقبل اصطياد صداقة تحت وطأة ظروف قاهرة.

الـشـــــاب : (بضراعة) ولكنك إنسان كبير القلب.

الــــرجـــــل : أول كلمة طيبة أسمعها منك.

(صمت)

الـشـــــاب : ماذا تنوى أن تفعل؟

الــــرجـــــل : سأشاهد المغيب ثم أذهب.

الـشـــــاب : وتتركنى عاجزا للخلاء والليل؟

الــــرجـــــل : لا حيلة لى فى ذلك.

الـشـــــاب : سيكون سلوكك غير إنسانى.

الــــرجـــــل : لم ألق من السير وراء الناس إلا الصد والاتهام واللعنة!

(الشاب يتأوه)

: أأنا الذى خلقت النحس حقا؟

(الشاب يتأوه)

: كـيف تعـاملون التـربى؟ . . . إنه يوارى جـثـثكم فى التراب، يصون كرامتكم، يعرض نفسه لألوان شتى من المخاطر، ويستـحق فى أحـاديثكم التـقليدية الجنة بغير حساب، ولكنه لا يسـعـد فى حيـاته بصـديق واحـد، ويمضى وحيدا كالوباء . . .

الـشـــــاب : الوقت يمر والحال تزداد سوءا.

الــــرجـــــل : كم صـددتنى، كم أهنتنى، ولـم تصـدق أننى إنسـان إلا بعد إصابتك وقبيل الغروب.

الـشـــــاب : يا لسوء حظى!

الــــرجـــــل : ها أنت تعود إلى اتهامى.

الشـــــاب : لم أقصد هذا ألبتة .
الـــرجــــل : ألست النحس الذى سلبك المال والحب والصحة؟
الشـــــاب : ســـيدى!
الـــرجــــل : أين فتـــاتك؟
الشـــــاب : لا سبيل إليها الآن .
الـــرجــــل : أليست هى أولى بتمريضك منى؟
الشـــــاب : إنها لا تعلم بما حل بى .
الـــرجــــل : زهدت لوجودى فى وصالك نفسه .
الشـــــاب : (متأوها) أريد إسعافا .
الـــرجــــل : سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة .
الشـــــاب : لا تتـــركنى .
الـــرجــــل : (متأففا) إنك مزعج فى مرضك كما كنت مزعجا فى صحتك .
الشـــــاب : ألا ترى كم أنهكنى المرض؟
الـــرجــــل : ألا ترى كم أنهكنى السير؟

(صمت)

الشـــــاب : أليس لك خبرة بالإسعافات الأولية؟
الـــرجــــل : لا خبرة لى بشىء .
الشـــــاب : ولكنك فى سن الحكمة والخبرة .
الـــرجــــل : أعرف كيف أسير على غير هدى، وأعرف كيف أسير فى أعقاب إنسان أحمق، وأعرف كيف آمل دواما فى علاقة لا تتحقق أبدا .
الشـــــاب : (بضراعة متأوهة) لا تذهب .
الـــرجــــل : سأذهب عندما يجب الذهاب .

الشـــــاب : لا تذهـــب .

الـــرجـــــل : اعتـدت أن يقـال لى اذهب عنـدما أرغب فى البـقـاء وأن يقال لى لا تذهب عندما يجب الذهاب .

(الشاب بتأوه. جو المغيب يهبط فيغطى الخلاء. الرجل يمضى إلى يسار الهضبة ليتطلع إلى الشمس الغاربة)

الشـــــاب : لا تبتعد عن إنسان يتألم لتشاهد شمسا تغرب .

الـــرجـــــل : صه، لا تكدر صفو الساعة، الساعة الفريدة، الوحيدة التى تلمس فيها حركة الشمس، الوحيدة التى تنظر فيها إلى الشمس دون أن تُصاب بالعمى، الوحيدة التى يُرى فيـهـا الظلام وهو يزحف، الوحـيـدة التى أسمع فـيـهـا التـوسـلات بدلا من اللعنات، ها هى الشـمس تخـتـفى تماما . . .

(الرجل يتحول عن موقفه متجها نحو الشاب ويرنو إليه دقيقة).

الـــرجـــــل : الـــوداع .

(ثم يسير على مهل نحو الخارج)

الشـــــاب : لا تذهـــب .

(يواصل السير غير ملتفت إليه)

: أستحلفك بالله .

(يواصل سيره)

: انتظر . . انتظر . . .

(الرجل يختفى)

: عليك اللعنة .

(الشاب ينظر فيما حوله بخوف. الظلام يهبط رويدا رويدا

حتى يختفى كل شيء... تمر فترة قصيرة على تلك الحال، ثم تترامى أضواء من وراء الهضبة. ويسمع وقع أقدام قادمة. من يمين الهضبة ومن يسارها يجيء رجلان حاملين مشعلين، يرتدى كل منهما سروالا وصدارا أحمرين. يقفان على مبعدة من الشاب إلى اليمين وإلى اليسار ويلازمان الصمت طوال الوقت. يبدو الشاب على ضوء المشعلين مستغرقا فى النوم. ثم يتبعهما رجلان فى أردية سوداء يحمل كل منهما سوطا وحبلا معقودا. يقفان عن يمين الشاب ويساره وهما يحملقان فى وجهه. يوثقان يديه وقدميه بإحكام ثم يعودان إلى وقفتهما ممعنين فيه النظر. الشاب يفتح عينيه. ينظر إلى الأمام فى ذهول. يهم بالحركة فيدرك أنه مكبل بالحبال. ثم ينتبه إلى وجود الرجال الأربعة. يردد عينيه بينهم فى دهشة ووجل)

الشــــاب : من أنتم؟ . . وماذا تريدون؟

الرجــل ١ : **(للرجل رقم ٢ فى تهكم)** إنه لا يعرفنا!

الرجــل ٢ : **(فى تهكم أيضا)** طبعا . . إنه يرانا لأول مرة .

الرجــل ١ : **(للشاب)** أليس كذلك أيها المخادع المارق!

الرجــل ٢ : أنت لا تعرفنا ، هه؟

الشــــاب : آسف ، لم أكن أفقت من النوم بعد .

(يركلانه بقدميهما فيصرخ)

: الرحمــة . . .

الرجــل ١ : **(ضاحكا)** ابن الأبالسة يطلب الرحمة!

الشــــاب : لا تحكموا عليّ بالظواهر ، أنا برىء . . .

الرجــل ٢ : نفس الكلمات ، لا جديد ، نفس الأكاذيب العفنة!

الشــــاب : كنت دائما حسن النية ولكن الزمن عنيد .

الرجل ١ : الزمن، الزمن، ذلك المتهم الوهمى .

الشاب : الرحمة .

الرجل ٢ : الرحمة؟!

الشاب : العدل .

الرجل ١ : لا يدرى ماذا يطلب .

الشاب : الرحمة والعدل .

الرجل ٢ : قلت الرحمة ثم العدل فماذا تطلب الرحمة أم العدل؟

الشاب : الرحمة والعدل .

الرجل ١ : لا تكن طماعا .

الرجل ٢ : نحن لا نعطى عادة إلا الموت .

الرجل ١ : والرحمة والعدل لا يجتمعان .

الشاب : ولمَ لا يجتمعان؟

(يركلانه مرة ثانية فيصرخ)

الرجل ١ : هذا التأديب عدل لأنك تستحقه فكيف يمكن أن تعامل بالرحمة فى الوقت نفسه؟!

الرجل ٢ : حدد أفكارك عما تريد، العدل أم الرحمة؟

الرجل ١ : (بحدة) العدل أم الرحمة؟

الشاب : الرحمة، لعلّ الرحمة هى ما أريد . . .

الرجل ١ : ألست على يقين مما تريد؟

الشاب : لست على يقين من شىء، لقد أنهكنى التعب .

الرجل ٢ : ألم تبدد الوقت بغير حساب؟

الشاب : يلزمنى شىء من الراحة لأحسن الإجابة، فكوا قيودى لأحظى ببعض الحرية .

الرجل ١ : (ضاحكا) ها هو ينادى بالحرية كمطلب جديد!

الـرجـــل ٢ : الحرية بعد العدل والرحمة!

الـشـــــاب : أليست جميعها أخوات لا يفترقن؟

الـرجـــل ١ : ابن الأبالسة عقد بينها أواصر القربى ليطالب بالدنيا والآخرة!

الـرجـــل ٢ : استمر فى الطلب إلى غير نهاية، وبلا حياء، ماذا تريد أيضاً؟ . . ثروة؟ . . صحة؟ . . جاه؟ . . ما رأيك فى الحب؟ . . الذرية؟ . . طاقية الاختفاء؟ جناحين للطيران؟ هرمونات لتجديد الشباب؟ مهضمات وملينات ومسهلات؟ فاتحات شهية؟ جواز سفر إلى جميع البلدان؟ ماذا تريد أيضا؟

الـشـــــاب : بعض الرفق، نحن إخوة!

الـرجـــل ١ : إخوة!، من ناحية الأب أم من ناحية الأم؟

الـشـــــاب : أعنى أننا جميعا بشر.

الـرجـــل ١ : تريد أن تستغلنا باسم البشرية، هه؟ ولأنك تتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الكون فسوف تحاول استغفال الكون كله، ماذا تريد أيضا؟

الـشـــــاب : إنى متألم فكوا قيودى.

الـرجـــل ٢ : تريد الحرية؟

الـرجـــل ١ : إن كنت تريد الحرية فاختر بنفسك الوسيلة التى نقتلك بها.

الـشـــــاب : لا تسخروا منى، لا تعارض يا سادة بين الحرية والعدل والرحمة!

الـرجـــل ١ : كذبت، كل واحدة منها تُستورد من بلد غير البلد التى تُستورد منه الأخرى.

الــرجــــل ٢ : ويؤدى ثمنها الباهظ بالعملة الصعبة .

الــشــــــاب : إنى متألم لحد العجز .

الــرجــــل ١ : الحرية أم العدل أم الرحمة؟

الــرجــــل ٢ : نريد جوابا صريحا غير متردد .

الــرجــــل ١ : جواب صريح لا رجعة فيه .

الــرجــــل ٢ : إن أردت الرحمة قتلناك بلا تحقيق ، وإن أردت العدل قتلناك بعد تحقيق ، وإن أردت الحرية فاقتل نفسك بالوسيلة التى تفضلها!

الــرجــــل ١ : ماذا تريد؟ . . تكلم بوضوح وصراحة ، العدل أم هرمونات تجديد الشباب؟ الرحمة أم جواز سفر إلى جميع البلدان؟ الحرية أم أملاح الفواكه الفوارة؟ ما طريقة القتل المفضلة لديك؟ ألك وصية بما يتعلق بجثتك؟ . . أترغب فى دفنها؟ . . فى حرقها؟ . . فى تركها فى الخلاء؟ . . فى شحنها إلى بلد معين؟

الــرجــــل ٢ : ماذا تريدنا على أن نفعل بالذرات التى يتكون منها جسدك؟ . . أن نتركها للديدان؟ . . أن نهبها للجمعية الطبية؟ . . أن نصنع منها قنابل مدمرة؟

الــشــــــاب : لا سبيل إلى التفاهم فيما بيننا .

(يركلانه فيصرخ)

الــرجــــل ١ : لقد بددت وقتنا سدى ، ألهذا أرسلناك؟

الــشــــــاب : أرسلتمونى؟! . . متى كان ذلك؟ . . لم يرسلنى أحد!

الــرجــــل ٢ : يا لك من كذاب مخادع!

(يركلانه فيصرخ)

الــرجــــل ١ : أحقا لم يرسلك أحد؟

الشـــــاب : معذرة، ضعفت ذاكرتى من المرض والإنهاك، معذرة.

الـرجـــل ٢ : أم تريد أن تتنصل من المهمة التى كُلّفت بها؟

الشـــــاب : المهمـــة؟!

الـرجـــل ٢ : المهمة التى كُلّفت بها!

الشـــــاب : أى مهمـــة؟

الـرجـــل ٢ : يا لك من كذاب مخادع!

(يضربه بالسوط.. الشاب يصرخ)

الـرجـــل ١ : وإلا فلماذا أرسلناك؟

الشـــــاب : أنتم صـادقـون وأنا مـعـذور، الزحـام هناك شـديد، والأصـوات مزعجـة، وعمـلى اليـومى اسـتغرق جـلّ وقتى.

الـرجـــل ١ : وما عملك اليومى؟

الشـــــاب : مـدرس تـاريخ.

الـرجـــل ٢ : حدثنا عن دروسك، ماذا فعل الإنسان القديم؟

الشـــــاب : اكتشـف الزراعـة، صنـع التقـويم، بنى الأهـرام، هزم وانهزم...

الـرجـــل ١ : ألم يذكرك شىء من ذلك بمهمتك؟

الشـــــاب : كنت مستغرقا طوال الوقت.

الـرجـــل ١ : ألم تخطر بذاكرتك ولو كالهمس؟

(الشاب يصمت. الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ متوجعا)

الـرجـــل ٢ : اعتـــرفْ..

الشـــــاب : اللعنة على ذاكـرة لا تـسـعف صـاحـبـهـا بما يجب أن تتذكـره.

الـرجـــل ١ : كـــذاب.

الرجل ٢ : اعترف بأنك تجنبت ذكر ما يجر عليك المتاعب .

الرجل ١ : مخادع جبان .

الشاب : جربونى مرة أخرى!

الرجل ١ : لتعبث بنا مرة أخرى .

الشاب : أعطونى رسالة مكتوبة كيلا أنسى .

الرجل ٢ : وكيف نحيط بالظروف المتقلبة التى تواجهك؟

الشاب : الزحام هناك شديد وهو خليق بأن يشتت الذاكرة .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط. الشاب يصرخ)

الرجل ١ : ماذا فعلت بيومك الطويل؟ . . لِمَ قصدت ميدان القلعة؟

الشاب : كنت أسير على غير هدى .

الرجل ١ : تسير على غير هدى وأنت لم ترسَل إلى هناك إلا لمهمة؟

الشاب : كان اليوم عطلة .

الرجل ٢ : ألم تقل لك القلعة شيئا يذكرك بمهمتك؟

الشاب : زلّت قدمى فوقعت على ركبتى .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الرجل ٢ : ألم يوح المطعم لك بشىء؟ . . ولا المقهى؟ . . ولا دار الآثار؟ . . ولا صالة المزاد؟ . . ولا عيادة الطبيب؟

(الشاب يصمت فى يأس)

: وماذا جاء بك إلى الخلاء؟

الشاب : فتاة .

الرجل ٢ : ولِمَ اخترت للّقاء مكانا هو أصلح لدفن الموتى؟

(صمت)

: لم يذكرك اللقاء بشىء عن مهمتك؟

الشـــــاب : ثمة رجل كريه كان يتبعنى طول الوقت فشتت فكرى .

الـرجـــل ١ : حتى ذلك الرجل لم يذكّرك بشىء!

الشـــــاب : هو النحس نفسه، وقد أفسد كل شىء .

(الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الـرجـــل ١ : ضيعت وقتك ووقتنا يا جبان .

الـرجـــل ٢ : وكانت الفرص تناديك من كل جانب يا أعمى .

الـرجـــل ١ : ولم نبخل عليك بالتحذير تلو التحذير .

الشـــــاب : ما تلقيت تحذيرا قط .

الـرجـــل ١ : كذاب غبى أعمى .

الشـــــاب : الرحمــة!

الـرجـــل ٢ : الرحمة أم العدل أم الحرية؟

الـرجـــل ١ : أم فاتحات الشهية أم هرمونات الشباب؟

(يضربانه معا بالسوط وهو يصرخ متوجعا.

الرجل ١ يشيـر إشارة خـاصة إلى الرجلين حاملـى المشعلين.

الرجل ١ والرجل ٢ يذهبان إلى مكانهما الأول وراء الهضبة)

حامل المـشعل : (مخـاطبا الـشـاب) لـمَ تحن أسـراب الطيـور المهاجـرة إلى أعشاشها التى تركتهاَ فى الجبل؟

(يحمل الشاب بين يديه ثم يقول له)

: تذكـر أن الطفل يبكى حين تنحيـه أمـه عن ثديهـا الأيمن ولكنه يجد فى اللحظة التالية سلوه فى ثديها الأيسر .

(يمضى حامل المشعلين فى مشـية متمهلة والآخر يتبـعه حاملا الشاب بين يديه)

(ســــتار)